10me Année No. 469

Lundi - 29 - 6 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة العاشرة «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٤٢» العـــدد ٤٦٩

الفهرس

الحب الضـــائع (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

تكلم سانت بيف — إن صدقتنى الذاكرة — على أدب المذكرات الخاصة الذى شاع بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر فى طائفة المثقفين والمثقفات من أهل فرنسا فعلل شيوع هذا الأدب بحب الظهور أو حب التحدث عن النفس والعكوف عليها . وقال ما فحواه : إننا نحن الفرنسيين نحب أن يتحدث عنا الناس وأن نتحدث عن أنفسنا . فإن عز علينا ذلك فى المحافل والأندية خلونا إلى أنفسنا فكتبنا عنها فى مذكراتنا الخاصة وجعلنا من سيرتنا موضوعاً يشغلنا كأننا أبطال المسرح ونظارته فى وقت واحد . وهذا هو عنده — إن صدقتنى الذاكرة مرة أخرى — تعليل أدب المذكرات الذى شاع قبيل عصره بين الفرنسيين والفرنسيات

وصاحب هذا التعليل لم يوف السبب الصحيح كل التوفية فيما نراه

فإن المذكرات الخاصة لم تشع بين الفرنسيين وحدهم فى تلك الفترة ، ولكنها شاعت كذلك بين الإنجليز وبدأت عندهم على الأرجح قبل ابتدائها عند الفرنسيين . فأثرت عنهم اليوميات من أوائل القرن السادس عشر إلى أيام الثورة الفرنسية ، وكانت لهم

(*) رواية جديدة للدكتور طه حسين بك

فيها أفانين لا تنحصر في نوع واحد من أنواع الملاحظة والتدوين والأغلب في اعتقادنا أن كتابة المذكرات الخاصة عادة سرت إلى أبناء فرنسا وانجلترا معاً من عادة الاعتراف التي دان بها التابعون للكنيسة الكاثوليكية زمناً في كلتا الأمتين . فكان إفضاء الكاتب بأسراره إلى دفتره المكنون ضرباً من الاعتراف بين يدي الكاهن بالخطايا والذنوب وخفايا النيات ، وأصبحت كتابة المذكرات هي باب الاعتراف الوحيد الذي ظل مفتوحاً لمن تحولوا عن الكنيسة الكاثوليكية وعدلوا عن الاعتراف بين أيدي الكهان

وربما أضيفت إلى هذا السبب أسباب أخرى نفسية كمزاج البوح والمكاشفة الذي يطبع عليه بعض الناس ، وأسباب أخرى سياسية واجتماعية كاضطرام الفتن واختلاف العادات ، وصعوبة المفاتحة بالأسرار بين أناس متداولين مستريبين فيما بعضهم كل منهم من العقائد والميول

والدكتور طه حسين قد جمع بين حسن الإلهام وحسن التعليل حين عرض لهذا الأمر في الصفحات الأولى من روايته الجديدة « الحب الضائع » فقص لنا قصة الفتاة التي انتقلت من الاعتراف للقسيس إلى الاعتراف للدفتر وقال لنا بلسانها : « إني لأفكر في هذا فأذكر مواقف وقفتها في عهد الطفولة ولا أزال أقفها إلى الآن وقد كدت أبلغ العشرين من العمر . وهي مواقفي من القسيس ... »

إلى أن تقول : « ... فأخترع الخطايا اختراعاً وألقيها إلى القسيس متكلفة غالية في التكلف . فيقبل القسيس مني حيناً ويرفض حيناً آخر . حتى انتهى به الأمر ذات يوم إلى أن كلفني أن أعترف له بكل ما أثقلت به نفسي من هذه الأكاذيب والأباطيل ونبهني إلى أن الكذب عليه كذب على الله ، وإلى أن هذه الخطيئة الساذجة في ظاهر الأمر قد تستحيل إلى خطيئة مهلكة لأنها تعودني الكذب ، وتغريني بالتكلف ، وتدفعني إلى النفاق ، وتنشئ بيني وبين الآثام صلات قد تنتهي بي إلى الشر . فأقلعت منذ ذلك اليوم عن انتحال الخطايا وتكلف الآثام للقسيس، ولكني ألاحظ الآن أني قد جلست إلى هذا الدفتر لأنتحل الأحاديث وأتكلف الأسرار وما في نفسي من حديث وما لضميري من سر ... »

فها هنا طفلة أحبت الاعتراف لأنها أحبت أن تتشبه بالفتيات الناميات ولو في انتحال الخطايا واختلاق الذنوب ، ثم حال القسيس بينها وبين الاعتراف الكاذب فرجعت إلى قسيس صامت لا يمنعها أن تعترف بما تشاء ولو لم تكن فيه مدعاة اعتراف ، وهو الدفتر الذي تطويه عن الانتظار وتجد عنده مزيجاً من متعة البوح ومتعة الكتمان

هذا مزاج الاعتراف واتخاذ الدفاتر الخاصة معاً قد مثل لنا على صورته الجلية الصادقة في أطوار هذه الفتاة التي يحدثنا عنها مؤلف « الحب الضائع »

ولعلنا نلمس في هذه الحقيقة طابع الصدق الفني والصدق الواقعي الذي اتسمت به الرواية في سرد حوادثها ووصف نسائها ورجالها

* * *

تأخذ في قراءة هذه الرواية وتعبر منها صفحة بعد صفحة فلا يزال يرتفع في خلدك شعور بالسؤال : متى كنت هنا قبل الآن !

أو لا تزال تشعر كشعور الرجل الذي رأى وجهاً عرفه ولا يذكر أين رآه أول مرة ، أو كشعور الرجل الذي رأى مكاناً تخيله ووصف له وظن أنه نزل به يوماً ولا يذكر متى كان ذلك اليوم

ثم تعرض مقروءاتك من بعيد وقريب فيتراءى لك من بينها اسم « فرتر » الذي لا ينساه طويلاً من عرفه بعض حين

أي نعم هو « فرتر » بعينه ... هو فرتر بلا مراء

أفمعنى ذلك أن رواية الحب الضائع تشابه رواية فرتر في وقائعها ؟

أفمعناه أنها تشابهها في سياقها أو أسلوب كتابتها أو طريقتها في فن القصص أو مواقف الأبطال الموصوفين فيها ؟

كلا . لا تشابه من هذا القبيل بين الروايتين ، وكل ما بينهما من التشابه أنهما تتحدثان لنا عن حب يائس انتهى بامرأتين صديقتين إلى الموت . وهذا في الحقيقة موضوع عام تشترك فيه روايات لا تحصى ، ثم لا تذكرك واحدة منها بالأخرى

إنما التشابه في جو الطيبة والوداعة الذي يغمر القارىء وهو يتقدم في قراءة الروايتين

وليس هذا كل ما هنالك وكفى !

بل هي طيبة لا تشبه كل طيبة في لبابها ، لأنها طيبة جادة تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح وكيف تنطوي على نفسها وكيف تقبل الحياة بشرائطها هي لا بشرائط الحياة

وهي كذلك طيبة لا تحسها من مصدر واحد في الرواية ، فلا تحسها من الزوجة وحدها ولا من الزوج وحده ولا من

الصديقة التي خانت فقتلت نفسها ولا من الأسرة التي فرقها الموت أو جمعها الشيخوخة والأسى

بل هي طبيعة الجو كله، وإن برزت فيه الخيانة كما تبرز الشياطين في حظيرة الملائكة العلويين

وهي طبيعة العلاقات والأواصر التي تخلق البيئة وتشمل من فيها، فإذا هم كلهم طيبون يريدون ذلك أو لا يريدون

فتاة تتزوج بخطيبها الذي اختاره لها أهلها وقد فجعتهم الحرب في أعز الأبناء. ثم تحب هذا الزوج وتخلص له وترزق منه صبياً يؤكد هذا الحب بينهما؛ ثم تساق إلى الأسرة صديقة فجعت في قرينها فيلقاها الزوجان بالحفاوة والمودة والمؤاساة، ثم تنشأ بين الصديقة والزوج علاقة لم يحسبا لها حساباً، وكان ينبغي أن يحسبا لها بعض الحساب، فتهرب الصديقة من خطر الخيانة إلى مكان بعيد، وتعالج المقاومة ما استطاعت حتى تعجز عنها وعن الصبر فتعود، ولكنها لا تطيق مقام الخيانة بين الزوجين فتحتال هي وعاشقها على اللقاء في مزار معهود. ويكبر على ضمير الرجل إثم الخيانة فيسوغه بالفلسفة التي يراها خيراً له من مصارحة نفسه بخيانة زوجة تخلص له ولا تفكر في غير الإخلاص ولو على سبيل القصاص. أما الفلسفة التي اهتدى إليها، فهي القول بتعدد الزوجات واستطاعة القلب أن يوفق بين حب اثنتين في كثير من الأوقات، أو كما قال الدفتر الذي تكتبه الزوجة لنفسها ونعلم منه وقائع القصة مروية بلسانها حيث تقول: «... كنا نسمر في بيتنا كما تعودنا أن نفعل مع جماعة من الأصدقاء الذين تعرفينهم، وكنا نتجاذب الحوار في موضوعات مختلفة كما تعودنا أن نفعل، فانتهينا إلى الحب وانتهينا إلى الوفاء، وأفضنا في ذلك حتى عرض مكسيم لعادة تقرها بعض الجماعات المتحضرة: عادة تعدد الزوجات، وإذا مكسيم يدافع عن هذه العادة دفاعاً حاراً ويذود عنها ذياداً عنيفاً، وأنا أسمع ذلك ضاحكة منه أول الأمر، ثم منكرة للغلو فيه، ثم دهشة لهذه الحماسة التي يظهرها مكسيم، ثم منتبهة لما كان يرد به فيليب من ألفاظ لا تخلو من تلميح وتعريض، ثم نتفرق وقد وقر في نفسي من هذا الحوار شيء لم يخل من تنغيص لما كان بيني وبين مكسيم من صفو...»

هرب الرجل من ألم الضمير إلى الفلسفة كما يفعل الرجال في معظم الأحوال.

أما المرأة، فقد هربت من ألم القلب إلى ملاذ آخر لعله أهون عليها من فلسفة الرجال، وهو الموت!

نعلم ذلك من الأسطر الأربعة التي هي كل ما نبأنا بها المؤلف بلسانه بعد ختام الدفتر على نحو من الاقتضاب كأنما هو اقتضاب القطع بالسكين... «وأصبح الناس ذات يوم وقد قرءوا في صحف الإقليم نعي سيدتين أهدت كل واحدة منهما نفسها إلى الموت، وجعل الناس في المدينة إذا لقي بعضهم بعضاً يلمون بهذا النبأ ويقول بعضهم لبعض: يا عجباً! كأنما كانتا على ميعاد!»

هنا مظهر الطيبة القوية كلها أو مظهر القوة الطيبة كلها

فهنا صدمة طاغية تودى بحياتين ويوشك أن تودى بثالثة، أو هي قد أودت فعلاً بما هو مساك تلك الحياة وهو الاطمئنان وسكينة الضمير

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة، ينوه بفضله ويعرف بأهله. وستبدأ بعدد العراق. والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

تمت هذه الخاتمة القاصمة دون أن تنفرج الشفاه بكلمة واحدة تبعثر آلام الصدور في آذان من يعنيهم الأمر ومن لا يعنيهم من الفضوليين

ولو كانت طيبة سخيفة لاستنفدت نفسها في اللجاجة والثرثرة والقال والقيل في غير طائل

ولو كانت قوة تخلو من الطيبة لما خلت من الإجرام والفضيحة والتنغيص الذي لا يطاق

ولكنها الطيبة التي قلنا إنها تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح، وتعرف كيف تحب وكيف تموت. ومن عجائب الدنيا أنه لا يعرف كيف يحب وكيف يموت إلا من هو أحق الناس بالحياة

والسؤال الذي يخيل إلي أنني سامعه من كل لسان في هذا الموقف هو: أفي العالم اليوم مثل هذا الحب! وإن كان في العالم أفي أوربا؟ وإن كان في أوربا أفي الديار الفرنسية؟

وهنا الكشف الذي يستحق أن تكتب من أجله الروايات والمصنفات، لا الرواية الواحدة ولا المصنف الواحد

فحب النزوات ما استغرق قط نفوس بني الإنسان في هذا الزمان ولا في غير هذه النزوات

وفرنسا ليست بدعاً في ذلك بين أمم العالم الحديث. فليست فرنسا كلها باريس ولا باريس كلها بأحياء السهر والمجون، بل هناك فرنسا أخرى كتب عنها العارفون واختبرها الناقدون

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبـارك

علاج النفس — الخادع المخدوع — مداخل الشيطان — صورة إسلامية — المنافق الجميل

علاج النفس

كتب إلينا حضرة (...) الموظف بوزارة المالية خطاباً يذكر فيه أنه يعاني أزمات نفسية تتمثل في تجسيم الخلاف الذي يثور بينه وبين أهله وأصدقائه من حين إلى حين، وهو يستحلفنا بالله أن ندله على طريق الخلاص من هذه الأزمات السُّود

ونحن من جانبنا نستحلفه بالله أن ينظر في الصور الآتية :

١ — رجلٌ صائم يشعر بأن الصيام قد يحمله على سرعة الانفعال، فهو يتجنب الاصطدام بالناس، لئلا يؤذيهم بغير حق

٢ — رجلٌ ترك التدخين بعد طول العهد بالتدخين، فهو يعرف أنه في الأيام الأولى محتاج إلى التصبُّر، ومضطر إلى البعد قليلاً عن المجتمع، لئلا يحمله ضيق النفس على الوقوع في محرجات لا تليق

٣ — رجلٌ مأزوم يخفي كربه عن زوجته وأبنائه، فهو يتعمد عامداً عن الحديث في المطالب الماشية، لئلا تلوح فرصة يثور فيها كربه فتنفرج شفتاه عن بعض الألفاظ الغلاظ في إيذاء الزوجة والأبناء

٤ — قاض ينسحب من الجلسة وقد أحسَّ بنوبة مَرضية خوفاً من الإضرار بالمتقاضين، لأنه يعرف أن العلة ولو كانت خفيفة تعرّض أحكامه للاعتلال

٥ — مدرس غاضب على أحد التلاميذ، وهو لحرصه على النزاهة يرفض امتحان ذلك التلميذ، لئلا يؤثر غضبه في تقدير الدرجات، وهو نوع من القضاء

٦ — غريب يشعر بالضجر من أحد البلاد، فيمنعه العقل من اغتياب ذلك البلد، إيماناً بأن الغربة قد تلوّن أحاسيس المغتربين بالحزن والانقباض، فهم يرون الدمامة ويعمَون عن الجمال

٧ — خصمٌ شريف يعرف أن الخصومة قد تُفسد أحكام الرجال على الرجال، فهو يحاسب نفسه قبل أن ينطق بكلمة تسيء خصمه اللدود

فما رأيك في هذه الصور السبع، ولها أمثال تفوق الإحصاء؟

إن كان حكمك على هذه الصور يوافق أحكام أولئك الرجال فادرس نفسك وزمانك لتعرف أنك معرض لآفات نفسية تفرضها عليك الظروف في هذه الأيام «البيض»

إحترس كل الاحتراس من نفسك في هذه الأوقات، واعلم أن سلامة الأعصاب تمرضتْ لمصاعب لا تطاق، ومن النادر أن تجد رجلاً يساير الحياة بقلب سليم، وقد قضت متاعب الحرب بأن يصير الناس جميعاً مجنَّدين، ولو كانوا من سكان المغاور والكهوف

يومك الحاضر متعب، ولا تمر فيه لحظة بلا منغصات، ولذلك أرجوك أن تسارع فتتهم نفسك قبل أن تتهم الأهل والأصدقاء عند اشتجار الخلاف

الملهمون الذين لا يكذبون، وبسطوا للناس من أوصافها ما يأذن بحب كهذا الحب، وجدّ كهذا الجد، وطيبة كهذه الطيبة، وكرامة كهذه الكرامة، وإن كثرت من فوقها الفقاقيع التي تحجب القاع، وتخدع فيه الأبصار والأسماع

وضمان هذه الحقيقة أن القلب الإنساني حيث كان يفقد قابلية العيش إذا هو فقد قابلية الحب الذي يعز عليه أن يضيع، والذي يؤثر أن يضيع الحياة ولا يضيعه وهو باق بعده بين الأحياء

إذا فني من قلب الإنسان في أرجاء الدنيا هذا المعين المقدس فهي الدنيا الفانية أو هي الأسطورة التي يستحمقها الخيال قبل أن تستحمقها العقول

وهذا هو الكشف الذي من أجله وحده تستحق رواية «الحب الضائع» أن تقرأ وتحفظ، وفيها غير ذلك ما تستحق من أجله القراءة والحفظ والتأمل الطويل

* * *

وقد اشتمل غلاف الرواية على توابع أخرى من القصص الصغار التي تنتهي الواحدة منها في بضع صفحات، تختلف في نمط التأليف وفي سرد الحادث وصور الأبطال، ولكنها تتفق في مزية واحدة تحمد للمؤلف الكبير، وهي مزية الجد في تصوير العاطفة التي هانت على ألسنة الناس وعلى نفوسهم في مجالس أهل الفضول. فليس الحب الذي تحكيه هذه القصص الصغار نزوة جسد، ولا مشغلة فراغ ولا لعبة هازلين، ولكنه كما يجمل بالإنسان كأس تصلح أن يملأها الموت كما تصلح أن تملأها الحياة، وتغترف من معين كامن فيما وراء الطبيعة كما تغترف من معين يسطع عليه نور الشمس. وتخفق عليه نسمات الفضاء.

عباس محمود العقاد

ومن المؤكد أن « مرض العصر » لا يمس وحدك . لأنه وباء، والوباء لا يقتصر شره على الأفراد ، فهو يمس جميع بلا استثناء

فهل تكون عند حسن الظن بك فتقف موقف الطبيب من مرضاه ؟

ومع من تجسم الخلاف ؟

إنك تعامل أقواماً ضعفت أعصابهم أقبح ضعف . بسبب المضجرات التى ساقتها أعوام الحرب ، فهم فى حقيقة الأمر مرضى لا أصحاء ، والعاقل لا يطالب المريض بما يطالب به الصحيح

وأنا مع هذا أنصحك بما لا أنصح به نفسى . فأنا أكتب هذه الكلمات فى أعقاب ثورة نفسية قضت بالقطيعة بينى وبين صديق لا ذنب له غير العيش فى أيام تجسم فيها أشباح الهفوات

وما جاز عندى أن أنصحك بما لا أنصح به نفسى . إلا لأنى أرجو أن تكون قدرتك على نفسك أكبر من قدرتى على نفسى ... وليتك تتأدب بأدبى ، فأنا لا أنفض يدى من صديق إلا بعد الصبر عليه عدداً من السنين الطوال . ثم لا يكون عقابه غير الهجر الجميل

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك ! !

الخادع المخدوع

هو من يوهمه اللؤم أو توهمه الحماقة أن صداقات الرجال تنال بالرياء ، وأن لطف المحضر يغنى عن صدق المغيب

الصديق الحق هو الذى يستطيع أن يغزو قلبك بأنسمة روحانية توحى إليك أنه أنيسك فى النعماء ، وحليفك فى الضراء . وأن وداده الصحيح هو القبس الذى تستضىء به عند اعتكار الظلمات

الصديق الحق هو الذي يدرك بوضوح أن الصداقة تفرض عليه أن يكون سنادك فى جميع الأحايين ، وأن يؤاخى من آخاك ويعادى من عاداك ، ولو كنت على ضلال . وهل يستطيع الصديق أن يرى فى صديقه غير كرائم المناقب وروائع الخصال !

ليس بصديق من يرى عيوبك ، أو يسمع فيك أقوال مبغضيك . وليس بصديق من يجوز عنده أنك واحد من الناس يقترب إليه باسم الصداقة ، ويبتعد عنه باسم العقل . وليس بصديق من لا يراك فى جميع أحوالك أشرف الرجال

إن استباح الصديق أن يتعقب صديقه باللام ، فى جد أو فى مزاح ، فهو عدو يلبس ثوب الصديق

قال الرسول عليه السلام : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »

وقد أوّل قومٌ هذا الحديث فقالوا إن نصر الأخ الظالم هو نهيه عن ظلم

وأقول إن هذا الحديث الشريف يرمى إلى غاية لم يفطن إليها أولئك المؤولون ، وهو عندى دعوة إلى العصبية الأخويّة ، وهى الغاية فى شرف الأخاء ، وتلك العصبية توجب أن نكون فى صفوف الإخوان ولو كانوا ظالمين ، لأن الوداد الصحيح هو الاشتراك الوثيق فى المحاسن والعيوب

أقول هذا وأنا أعلم أن فى خلق الله من يثور على هفوات صديقه ليتسم بالنزاهة والعدل ، ولو عقل لأدرك أن مؤاخذة الصديق — ولو بحق — هى أقبح ألوان الظلم والجور والإجحاف

مراحل الشيطان

إن جاريت العقائد الدينية فالشيطان مخلوق يوسوس لك بلا انقطاع ليضلك عن سواء السبيل . وإن جاريت المذاهب الفلسفية فالشيطان هو هواك ، وأنت بين هذين الفرضين مسئول عن مقاومة هذا الهوى أو ذلك المخلوق ، لأنه فى حاليه مشئوم مشئوم

ينزغ الشيطان فيقول : لك أن تختار بين إيثار صديقك وإيثار الحق

وعند هذه الفكرة المضللة تلتفت فترى الحق أجدر بإيثارك فتثور على الصديق

ثم تلتفت مرة ثانية فترى ناساً يعجبون بشجاعتك ونزاهتك لأنك آثرت الحق على الصديق

وتلتفت مرة ثالثة فتراك وُصفتَ بأوصاف لطاف هى منحة الشيطان لمن يثور على الصديق

ثم تلتفت مرة رابعة فتراك مسئولاً عن تبرير ثورتك على الصديق ، ولا يتمّ ذلك بغير مأثم يكون منها أنك أشرف من صديقك ، ولا يقول رجلٌ إنه أشرف من صديقه إلا حين يشرف على هاوية الانحطاط !

إن الإفك فى محاربة عدوّك أشرف من الصدق في محاربة صديقك ، ولك أن تقول إنى أفضّل الإفك على الصدق فى بعض الأحيان

عِرضُ الصديق هو عِرضُك ، ولن تكون رجلاً إلا حين تفرح بضلال صديقك قبل أن تفرح بهُداه

كن صديقاً صدوقاً ، ثم تجرّد من سائر الفضائل إن شئت ، فما يقيم الله وزناً لغير أعمال الصديق الصدوق

إسمع كلامى ، يا غافل ، إن كان لك سمعٌ أو قلب ، إسمع ثم أجبْ :

هل تعرف لأى سبب قلّت الصداقات فى هذه السنين العجاف ؟ وأساعدك على الجواب فأقول :

قلّت الصداقات ، لأنها جواهر نفيسة وكريمة ، ونحن فى زمن لم يرتفع فيه غير ثمن الرغيف المخلوط بالتراب ... وما أحب أن أزيد !

صورة اسلامية

فى أحد أيام سنة ١٩٣٨ ـ وكنت ضيف العراق ـ أطلعنى السيد صادق الوكيل رحمه الله على قصة صدرت فى بيروت تسمى « خطيئة الشيخ » أو « توبة الشيخ » فما أذكر اسمها بالضبط ، ولعل إحدى المكاتب ترسلها إلىّ بالثمن محوّلاً على البريد فأعرف ما فيها من مقاصد وأغراض

أخذ السيد صادق الوكيل يقرأ من تلك القصة صفحات معيّنة ، وهى الصفحات التى يشرح فيها المؤلف كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، بصورة مُمزِج فيها القَصص بالتعليم ، ثم عقّب فقال : ترضينى هذه الطريقة ، فأنا أخشى أن يجيء يوم ننسى فيه كيفية الوضوء وكيفية الصلاة !

وفى صيف سنة ١٩٣٩ قضيتُ أياماً فى الأسكندرية لأستكمل الصور المنشودة لكتاب « أدب الشواطئ » وهو كتابٌ صرفتنى عنه صروف الحرب ، أو صرفنى عنه إقفار الشواطئ من احتراب العيون والقلوب ، وسأرجع إلى إتمامه ونشره يوم يرجع الأمان إلى صدر الزمان

وأواجه الغرض من هذه الكلمة فأقول :

فى ساحة الفتون بالشاطئ الإسكندرى لقينى الشيخ محمد أبو العيون ، وهو أزهرىٌ طيب القلب جدًّا ، وقد تهمّ حين تراه بأن تسأله الدعاء ، على قلة هذا النوع فى هذا الجيل ، وإنى لأرجو أن يتفضل فيذكرنى بالدعوات الصالحات حين أخطر فى البال

كنت أمتع عينىّ بأحد ملاعب « التِّنِسْ » فى الشاطئ حين لقينى الشيخ محمد أبو العيون ، وللاعب التنس فوق الشاطئ الإسكندرى جاذبية تفوق الوصف ، ولكن قدوم هذا الشيخ الصالح صدّنى عن ذلك النعيم ، وأشعرنى أن للتقوى جاذبية رائعة ، وأن النظر فى وجه الرجل العابد يوحى من الشعر ما لا يوحيه النظر فى طلعة البدر الوهاج

ولم يكن بدٌّ من صحبة هذا الشيخ فى ذلك الوقت ، وكانت الشمس تتأهب للاستحمام ، وهي تستحم فى البحر كل يوم قُبَيل الغروب ، ولعل هذا هو السبب فى أن جسمها خالد الإشراق !

— هل يضايقك أن نتعشّى معاً ، ياحضرة الدكتور ؟

— أنا لا أتناول طعاماً بالليل ، ويكفى أن أكون فى ضيافتك الروحية

— تعال معى إلى الفندق ، فهنالك مشكلة ينفع فى حلها تعاون الرفاق

— وما تلك المشكلة ؟

— خادمٌ بالفندق يرفض أن يتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، مع أنى عرضت عليه خمسة قروش . ولو أنه استزادنى لزدته ؛ ولكنه يرفض

مضينا معاً إلى الفندق لحل تلك المشكلة ، وأنا أبتسم ابتسامةً تخفى على الشيخ ، فمن « المضحك » أن يُفكر روّاد الشواطئ فى تعليم خدَمَة الفنادق كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

ونظرتُ إلى الخادم فرأيته فتًى تشهد ملامحه بأنه مسلمٌ لفظاً لا معنًى ، وأن طول عهده بخدمة الفنادق والقهوات راضه على اليقين بأن المصطافين ليس فيهم من يذكر الله بصدق وإخلاص ... وهل تزار الأسكندرية فى الصيف لأداء الصلوات ؟

عَرض الشيخ من جديد خمسة قروش ، وعرضتُ عشرة قروش فقبِل الخادم (وهو يضحك ضحكة السخرية) أن يطيعنا فيتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

أخذ الشيخ يعلّم الفتى كيفية الوضوء بإيجاز ، وكان الموقف فى جملته من غرائب المضحكات ، لأن قروش الشيخ وقروشى جعلت الفتى من الأجورين المأزورين ، ولا قيمة لعبادة يكون جزاؤها بأيدى الناس !

كان الفتى يضحك ويلعب ، ثم تغيّر وجهه فجأة فصار فى خشوعِ النسّاك ، واحتجزْنا ساعتين لنعلّمه سائر الفروض الإسلامية ، ولم يَفُته أن يردّ القرَوش التى أخذها من الشيخ والقروش التى أخذها منى ، برغم الإلحاح فى قبول الهدية ، وكانت حجته أنه قضى فى صحبتنا لحظات هي أثمن وأنفس من أطايب الأموال

وفى الأسبوع الماضى زرت الأسكندرية لبعض الشئون ، فراعنى أن أجد فتى يهجم على يدى فيقبّلها بحرارة وشوق ، ثم يسألنى الدعاء ، وهو الفتى نفسه ، الفتى الذى علّمناه كيف يصلى وكيف يصوم

التصوير عند العرب (*)

للمرحوم أحمد تيمور باشا

للدكتور محمد مصطفى

خيل إليّ وأنا أقرأ كتاب « التصوير عند العرب » أنني أجلس في « الخزانة التيمورية » أراقب صاحبها – رحمة الله عليه – فأراه يقوم إلى أحد الرفوف ويتناول كتاباً معيناً ، من بين الكتب الكثيرة المرصوصة بعناية فائقة ، ليقرأ فيه ويسجل على حواشيه ما يخطر له من آراء وأفكار . وأكاد أرى هذا الكتاب وهو يهتز بين يديه طرباً وسروراً ، بل أكاد أسمع هذا الكتاب وهو يتغنى بمدح صاحبه ويفخر بين الكتب الأخرى بما خط على جوانب صفحاته من ملاحظات ترفع من قيمته في أعين العارفين . نعم ... إن الكتب ترقص وتغنى إذا هي وجدت من يعني بأمرها ويرعاها في عطف وحنان . ولو تركت « الخزانة التيمورية » وشأنها – وما فيها من عشرين ألف مجلد – لملأت جو القاهرة وضواحيها بما تتغنى به من أناشيد ، تشيد فيها بذكرى صاحبها الراحل الكريم ، ولكانت تجلب السلوة والعزاء إلى قلوب الكثيرين من سكان هذا القطر والأقطار الشقيقة ، بل إلى قلوب أناس عديدين عصفت بهم الشدائد في تلك النواحي النائية البعيدة ، ولكانت تكف عن هذا الصراخ والعويل الذي ينبعث من « قبر » شاءت الأحوال أن تظل حبيسة فيه ، بعيدة عن عشاقها ومحبيها .

حقاً كان المرحوم أحمد تيمور باشا صاحب «الخزانة التيمورية» ومؤلف كتاب « التصوير عند العرب » من أولئك الذين أسعدهم الدهر بأن يولدوا في وسط عائلي مولع بالأدب وقرض الشعر ، فهو الذي قالت في ولادته أخته عائشة التيمورية من أبيات :

لاح السعود وأسفر التوفيق وتلا لنا سور العلا توفيق

وكان قد سمى عند ولادته « أحمد توفيق » ولكن لقب العائلة غلب عليه . وقامت أخته عائشة على تربيته بعد وفاة والده اسماعيل تيمور باشا ، فتلقى علوم اللغة والمنطق والقراءات على فطاحل أساتذة ذلك العصر أمثال رضوان محمد وحسن الطويل والشنقيطي الكبير ، وظل مثابراً على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم ، حتى أصبح الحجة في اللغة من بعدهم . وكانت داره بدرب سعادة منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة للبحث والمناقشة أمثال : أحمد مفتاح ، وطاهر الجزائرلي ، ومحمد عبده ، ويحيى الأفغاني ، وغيرهم كثيرون من علماء وأدباء الشرق والغرب . وفي هذا الوسط شب على حب جمع الكتب والتفنن في اختيارها واقتنائها ، حتى بلغ ما جمعه في خزانته ١٥,٠٠٠ كتاب في نحو ٢٠,٠٠٠ مجلد أكثرها من المخطوطات . ويؤكد الأستاذ حسن عبد الوهاب[1] – وقد كان على اتصال به – أن « هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظاته له ، ما بين وفاة مؤلف أو بيان ذيول وضعت على الكتاب ، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه في النقل » مما يدل على سعة اطلاعه وحبه للآداب والعلوم والفنون .

وكان رحمه الله دقيقاً في بحوثه العلمية ، متوفر النشاط ،

(*) نشره مع التعليقات الدكتور زكي محمد حسن

(١) في ترجمته له التي نشرت في كتاب : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر للمرحوم أحمد تيمور باشا ، ص ١٥٧ وما بعدها

خذ علمي وأعطني إيمانك ، أيها الجاهل السعيد ، فلا حياة للعلم بدون إيمان

المنافق الجميل

هو شجرة الخلاف ، أو الصفصاف ، وهي شجرة غرستها بيدي عشرات المرات ، قبل أن أهاجر من سنتريس إلى باريس

لا يدوم جمال هذه الشجرة غير سنتين أو ثلاث ، ثم تتخوّخ ،

والتخويخ في عُرف أهل مصر هو أن تمتلئ الشجرة بعلة الجوف ، فيكون لها ظاهرٌ صحيح ، وباطنٌ عليل ، على نحو ما تكون شجرة الصفصاف بعد أعوام قصار ، وعلى نحو ما تكون ضمائر الأصدقاء المزيّفين بعد أيام طوال !

رجال القلم هم أطباء النفوس والقلوب والعقول ، والطبيب بلا مرضى كالمحامي بلا قضايا والمدرس بلا تلاميذ

ومن أجل هذا أحبك ، أيها المنافق الجميل ، لأن وجودك فرصة لدرس الغرائز والسرائر والأهواء

أدام الله عليك نعمة الغدر ، وأدام عليّ نعمة الوفاء .

زكي مبارك

يكثر من الكتابة والتأليف . وله مقالات كثيرة فى اللغة والأدب والحضارة العربية والتاريخ الإسلامي ، نشرها فى جرائد ومجلات عديدة : كالمؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلال والهندسة والزهراء والهداية الإسلامية . أما ما ألفه من كتب فكثير ، ولم ينشر بعضها بعد ، وإنى أذكر البعض مما نشر منها مثل : تصحيح لسان العرب ، تصحيح القاموس ، نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها ، أبو العلاء المعرى ، تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، قبر الإمام السيوطى وتحقيق موضعه ، وأخيراً كتابه الفذ التصوير عند العرب

وناشر هذا الكتاب — الدكتور زكى محمد حسن — غنى عن التعريف ، فقد تسنى لى أن أنشر على صفحات هذه المجلة حواراً علمياً بينى وبينه ، قابله بما نمهده فيه من ترحاب وسعة صدر ! والمؤلف والناشر يتشابهان فى بعض الصفات كل على طريقته الخاصة وطريقة عصره . فكلاهما من هواة جمع الكتب ، الأول صاحب الخزانة الشهيرة فى الشرق والغرب ، والثانى كوّن لنفسه مكتبة فى الفن الإسلامى يتمنى الكثيرون — ومنهم كاتب هذه السطور — اقتناء مثلها . وكلاهما واسع الاطلاع ، الأول يحفظ بالذاكرة ويدون ملاحظاته فى « كراسات » للرجوع إليها ، والثانى يعتمد فى بحثه العلمى على طريقة « جذاذات الورق » — وإنى أفضل الجمع بين الطريقتين . وكلاهما معتد بنفسه وبمركزه العلمى ، الأول فى تواضع ، والثانى فيما تفرضه مقتضيات عصره من كبرياء لا ذنب له فيها

ولا غرابة إذن أن يقول الناشر فى تصدير الكتاب : « إن المؤلف كان حجة فى اللغة والأدب ، واسع الاطلاع على كتب التاريخ والبلدان ، نافذ البصيرة ، دقيق الملاحظة . فكان طبيعياً أنى لم أجد فى متن الكتاب ما يحتاج إلى تقويم أو تصويب من الناحيتين الأدبية والتاريخية ، ولكن دراسة الفنون والآثار الإسلامية لم تكن ناجحة فى مصر حين كتب فصول هذا الكتاب ولم يكن المؤلف — رحمه الله — إخصائياً وثيق الصلة بالدراسات الفنية فى الغرب ، فدفعنى هذا كله إلى الإقبال على التعليقات والدراسات الفنية مع توضيح الكتاب بالصور »

والحق يقال إن القارئ لا يدرى هل هو تواضع المؤلف الذى يطغى على هذا الكتاب مع ما تراه من غزارة مادته فى ناحيتى الأدب والتاريخ ، أم كبرياء الناشر وما أظهره من سعة الاطلاع فى تعليقاته ودراساته الفنية . وما الأدب والتاريخ سوى دعامتى الفن الإسلامى ، بهما يثبت قوامه ، وبدونهما تتقوض أركانه

وإنى لا أجد لتوضيح ذلك أقوى مما قاله المؤلف فى صلة الشعر بالفن ، فهو يقول فى مقدمة الكتاب : « وقد اعتمدت فى كثير مما ذكرته على الشواهد الشعرية ، لأنى وجدت الشعر أصدق قيلاً وأفصح بياناً فى هذه المواضيع ، فالشاعر إذا وصف فإنما يصف شيئاً موجوداً وقع عليه نظره فرواه لنا كما رآه ، ولأنه يجتهد فى تقريبه للأذهان فيصور من دقائقه فى شعره ما لا تصوره عبارة أخرى ، لا يقصد منها إلا رواية خبر ربما لا يهم راويه إلا ذكر جملته دون تفصيله »

وبدأ المؤلف كتابه بأنواع التصوير فذكر منها ما كان على الجدران والثياب والستور والأقداح والأوانى والمصابيح والأثاث والسلاح والنقود والشارات والبنود ، وفى الكتب والصحف والألواح . ثم أتبعها بذكر التماثيل على أنواعها من ثابتة ومتحركة ومصنوعة بأنواع الحيل وتماثيل الحلوى والزهر والحقول واللعب وتماثيل الصبيان ، وأتى بعد ذلك على ما عثر عليه من أسماء المصورين . ويقول فى ذلك : « وفى هذا الفصل ما يدحض قول القائلين بقصور العرب فى هذا الفن البديع »

ويقع هذا القسم من الكتاب فى ١١٤ صفحة هى متن الكتاب الذى حرره المؤلف مع الحواشى التى خطرت له . وليست قيمة هذا القسم فى قلة عدد صفحاته أو كثرتها ، بل فيما تحتويه هذه الصفحات من بيانات ونصوص ، تدل على ما بذله المؤلف من جهود كبيرة ليجمعها من بطون الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة . وليس أدل على ذلك من قول المؤلف فى مقدمته : ثم لا يخفى على من عانى أمثال هذه المباحث اعتياص هذا الموضوع ، والتواؤه على محاوله ، لتشتته بين تضاعيف الأسفار بعد ذهاب ما كتب عنه ، وجمع فيه . فلا غرو أن يعد صغيره كبيراً ، ويسيره كثيراً ، وألا يستهان بما يظفر به منه ، فإنه إن لم ينقع غلة ، ويصرح عن المحض ، فلا أقل من أن يتخذ أساً يبنى عليه »

وقد تحققت نبوءة المؤلف هذه واتخذ الكتاب أساً وبنى عليه ، وجاءت تعليقات الناشر ودراساته الفنية متممة لهذا « الصغير الكبير ، واليسير الكثير » فرد النصوص إلى مصادرها ، ووضح الكتاب بالصور ، وعمل على إعداد فهرس هجائى طويل لمتن الكتاب وما كتبه من تعليقات وما رجع إليه من مصادر ،

وإني أشاركه رجاءه في أن يقبل المؤلفون على عمل مثل هذا الفهرس فيما يكتبون وينشرون

ولعل الناشر ظن أن ذكرى مؤلف الكتاب لا تزال حية في قلوب أفراد الجيل الحاضر ، فرأى أن ذلك قد يعفيه من الترجمة له ، على غير المألوف في نشر المخطوطات . وقد كنا نود لو أن الناشر كان قد افتتح هذا السفر الجليل بترجمة وافية لمؤلفه - رحمه الله - يجمع فيها شتات ما قيل وكتب عنه ، لتبقى ذكراه خالدة مع كتابه ، لنا وللأجيال القادمة . وإني أرجو أن يحقق الناشر هذه الرغبة إذا أتيح له أن ينشر من هذا الكتاب طبعة ثانية

وتكلم الناشر في تعليقاته (ص ١١٩ وما بعدها) عن موضوع « حكم التصوير في الإسلام » وأراد أن « يفند الحجج التي يسوقها أصحاب القول بأن التصوير لم يكن مكروها في فجر الإسلام » . فحلل هذه الحجج تحليلاً علمياً ورد عليها . وقد تكون لي عودة لمناقشة هذا الموضوع في مقال آخر

وقد توخى الناشر الدقة التامة في تعليقاته وفي توضيح ما نشره من الصور ؛ وليس أدل على ذلك من صورة لشخص على دعامة وجدت مدفونة تحت قاعة العرش في قصر الجوسق بمدينة سامرا ، وصفها الناشر : (ص ١٤٣ وحاشية ١) بأنها لامرأة « تحمل على كتفيها عجلاً » ؛ ثم قال في الحاشية : إن « أكبر الظن أن هذا الرسم توضيح لقصة فتنة محظية بهرام جور » وبعد أن سرد هذه القصة اختتم الحاشية بقوله : « ويرى القارئ صورة لهذا المشهد العجيب في مخطوط من المنظومات الخمسة للشاعر نظامي ، كتب في تبريز للشاه طهماسب[1] » ؛ وقد بدا للناشر بعد ذلك أن يغير رأيه في شرح هذه الصورة فقال : (ص ٢٥٣ وحاشية ١) إن هذا النقش « قد يمثل سيدة تحمل فوق كتفيها عجلاً ، فيكون ذلك توضيحاً لقصة فتنة محظية بهرام جور » ؛ وبعد أن تكلم باختصار عن هذه القصة قال : « ولكن الحق أننا لا نستطيع أن نجزم تماماً بأن الرسم يمثل سيدة وليس رجلاً ، وبأن الحيوان المحمول عجلاً لا خروفاً ؛ وإذا كان من المحتمل جداً أن يكون المقصود رسم رجل يحمل خروفاً فإن المنظر لا يكون من قصة محظية بهرام جور ، بل يكون منظراً مسيحياً يمثل قصة الراعي الصالح » ؛ وفي الحاشية روى هذه القصة وجاء بمراجع قيمة لبعض صور الراعي الصالح

والحق يقال أنه لا يمكن للقارئ أن يجزم بأي شيء من هذه الصورة وهي في حالتها الراهنة ، والناشر على حق في كلا التفسيرين ، ولكن إذا تأملنا الرسم الذي حاول فيه الأستاذ هرتزفلد (شكل ٦٥ ص ٨٨ من المرجع الذي ذكره الناشر) أن يرجع هذه الصورة إلى أصلها مع مقارنتها بمثيلاتها على جدران قصر الجوسق بسامرا ، أمكننا أن نتبين أنه لامرأة تحمل على كتفيها عجلاً ، وأن نستبعد قصة الراعي الصالح البيزنطية الأصل ، لما نراه في الصورة من التأثير الساساني الشديد ، ولمشابهة صورة المرأة فيها من حيث الرسم والملابس لصور الآلهات على تيجان أعمدة قصر الملك خسرو الثاني الساساني . وكذلك لم يذهب الناشر بعيداً في ظنه أن هذه الصورة تمثل الراعي الصالح إذ لا يبعد — كما أثبت الأستاذ هرتزفلد ذلك في ص ٨٩ من المرجع السابق — أن تكون الصورة البيزنطية للراعي الصالح وعلى كتفيه الخروف قد أوحت للفنان الساساني أن يستبدل بالرجل امرأة وبالخروف عجلاً ، فيمثل في صورته هذه « فتنة » محظية بهرام جور ، وهي تحمل العجل على كتفيها ، كي تتفق الصورة مع القصة الساسانية

ولا شك أن مراجع « الفن الإسلامي » التي ضمها الناشر لما ذكره المؤلف من مراجع الأدب والتاريخ ، قد جعلت لهذا الكتاب ميزة خاصة به ، فصار وافياً في الغرض الذي كتب من أجله

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

---

(١) وأظن أن الأمر قد اختلط على الناشر في هذه النقطة ، إذ توجد في هذا المخطوط صور أخرى لقصة فتنة مع بهرام جور ليس بينها صورة لهذا « المشهد العجيب » : أنظر ما كتبناه عن هذه القصة في العدد ٤٥٠ من « الرسالة » ص ٢١٤ وما بعدها

شعر على بن أبى طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

هل كان شاعراً ؟

لعلنا فى حاجة قبل كل شىء إلى أن نصل إلى رأى فى هذه المسألة : وهى هل كان على شاعراً أم لم يكن ؟ ذلك لأنه قد ثارت حول هذه المسألة مجادلات ؛ فذهب قوم إلى أن علياً كان شاعراً ، وذهب آخرون إلى أنه لم يكن كذلك ، وإنما كان كاتباً وخطيباً . أقول إننا فى حاجة إلى أن نصل إلى رأى فى هـذه المسألة قبل كل شىء . والواقع أننا لسنا فى حاجة إلى شىء بعد ذلك لأننا قد وصلنا فعلاً إلى رأى فى هذه المسألة : هو أن علياً كان من الشعراء . ولقد وصلنا إلى هذا الرأى بعد أن خطونا ثلاث خطوات :

١ — وجود الموهبة الشعرية عند على

ونقصد بالموهبة الشعرية هنا تلك الموهبة التى تولد مع الشاعر وتنمو بنموه وتنضج بنضوجه ، وتدفعه إلى قول الشعر ونظم القصيد . نقصد بها ذلك الاستعداد لقول الشعر واصطناعه وسيلة من وسائل التعبير عن النفس والتصوير لخلجات الوجـدان ونوازع القلب

هذه الموهبة الشعرية يكفى فى الدلالة عليها حياة النفس ، ويقظة القلب ، وتنبه الضمير ، والتأثر السريع العميق بما من شأنه التأثير السريع العميق . يكفى فى الدلالة عليها اتقاد العواطف وحرارة الانفعالات

ولقد كان على بن أبى طالب ذا موهبة شعرية على هذا الأساس. فلقد كان حى النفس ، يقظ القلب ، مُتنبِّه الضمير ، يتأثر تأثراً سريعاً عميقاً بما من شأنه التأثير السريع العميق ؛ ولقد كان متقد العواطف حار الانفعالات

ويكفى فى التحقق من ذلك قراءة ما صح من خطبه وكتبه ، ففى هذه الخطب والكتب نلمس الشعور الفياض ونحس به سارياً فى أثناء الكلام . فنحن إذا قرأنا الخطبة الشقشقية شعرنا بما يضطرم فى صدر على من الألم لظفر أبى بكر ثم عمر ثم عثمان بالخلافة دونه ، مع أنه — فى نظره هو — أحق منهم بها لقربه من الرسول وتحدره من بيته . وهذا الألم الذى يضطرم فى صدر على ألم قوى شديد ، ينفث فى الكلام مرارة يستشعرها القارئ ، وشكوى مفعمة بالأسى ، وظلالا من الشعور بالحرمان

ونحن إذا قرأنا جوابه عن كتاب معاوية إليه شعرنا بإيمان صاحب الحق بما له من حق ، وحرصه عليه ، وثورة نفسه على من يسعى لاغتصابه منه أو حرمانه إياه أو الاستئثار به دونه

وهكذا تنتظم خطب على وكتبه نفسه الحماسية ووجدانه الثائر وعواطفه الجياشة ، وتقوم دليلاً على أنه شاعرى الروح عظيم الحظ من الموهبة الشعرية

ولقد أحسَّ بروكلمان هذه الموهبة الشعرية عند على فقال فى خلال حديثه عن الديوان المنسوب إليه Geschichte der Arab. Litteratur ، ج ١ ص ٤٣ : « ليس من شك فى أن علياً كان ذا ملكة شعرية ... »

٢ — نسبة أشعار إليه فى بعض المراجع العربية المعتمدة

(ا) جاء فى عيون الأخبار لابن قتيبة (ج ٣ ص ٥ ط دار الكتب) : « وقال على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه :

أخوك الذى إن أحوجتك ملمّة ... من الدهر لم يبرح لهـا الدهرَ واجما
وليس أخوك الحقُّ من إن تشعّبت ... عليك أمور ظـــل يلحاك لائما

(ب) جاء فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢٦٣ ط مرجليوث) : « قرأت بخط أبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى فى كتاب التهذيب له قال أبو عثمان المازنى لم يصح عندنا أن على بن أبى طالب تكلم من الشعر غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنـانى لتقتلنى ... ولا وَجدِّك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنٌ ذمتى لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال ويقال داهية ذات روقين وذات ودقين إذا كانت عظيمة[1]

وجاء فيه أيضاً (ج ٥ ص ٢٦٦) : « ومما يروى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أن لى

(١) قال السيوطى فى شرح شواهد الحقنى (ص ١٧٦ ط المطبعة البهية) : « ... وقال المرزبانى فى تاريخ النحاة قال يونس ما صح عندنا ولا بلغنا أن على بن أبى طالب قال شعراً إلا هذين البيتين :

تلكم قريش تمنـانى لتقتلنى ... فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

وقال وكيع فى الغرر حدثنى ثعلب عن ابن الأعرابى قال يصح أن علياً رضى الله عنه قال من الشعر تلكم قريش فذكر البيتين »

فضائل : كان أبى سيّدا فى الجاهلية وصرت ملكا فى الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحى . فقال أمير المؤمنين عليه السلام أبالفضائل تفتخر على يا ابن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام :

محمد النـــبى أخى وصهرى   وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى   يطير مع الملائكة ابن عمى
وبنت محمد سكنى وعرسى   مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها   فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طراً   صغيراً ما بلغت أوان حلمى

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبى طالب

(ج) جاء فى مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى (ص١٤ ط المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف) : وكانت فاطمة بنت أسد أمّه لما ولدته سمته حيدرة فغير أبو طالب اسمه وسماه علياً . وقيل إن ذلك اسم كانت قريش تسميه به . والقول الأول أصح ، ويدل على ذلك خبره يوم خيبر وقد برز إليه مرحب اليهودى وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّب

فبرز إليه على عليه السلام وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   كليث غاب فى العرين قسوره
أكيلكم بالصاع كيل السندره

(د) جاء فى العمدة لابن رشيق (جـ ١ ص ١٤ ط الخانجى) :
« ومن شعر على بن أبى طالب[1] رضى الله عنه وكان مجدداً قال له يوم صفين يذكر همْدان ونصرهم إياه

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا   نواصيها حمرَ النحور دوامى
وأعرض نقع فى السماء كأنه   عجاجة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند فى الطلاع وحمير   وكندة فى لخم وحىّ جذام
تيممت همدان الذين همُ همُ   إذا ناب دهر جنتى وسهامى
فجاوبنى من خيل همدان عصبة   فوارس من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها   وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وهو القائل بصفين أيضاً :

لمن راية حمراء يخفق ظلها   إذا قلت قدّمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يَرِدْ بها   حياض المنايا تقطر الموت والدما

(هـ) جاء فى ديوان الحماسة للبحترى (ص ٦١ ليدن) :
ومما يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه :

من أى يومىَّ من الموت أفرْ   أيوم لم يقدر أم يوم قُدِرْ

وقال عليه السلام أيضاً :

أعلىَّ يقتحم الفوارس هكذا   عنى وعنهم خيروا أصحابى
اليوم تمنعنى الفرار حفيظتى   ومهنّد بالكف ليس بناب
آلى ابن عبد حين شدَّ أليّة   وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يصد ولا أهلل فالتقى   بطلان يضطربان كل ضراب
فصددت حين تركته متجدلاً   كالجذع بين دكادك ورواب
وكففت عن أثوابه ولو أننى   كنت المجدَّل بزنى أثوابى

(و) جاء فى الكامل للمبرد (ص ٥٤٤ من الطبعة الأوربية) :
«ومن شعر على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وأنه كان يردده أنهم لما ساموه « يعنى الخوارج » أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام ؛ فقال : أبعد صحبة رسول الله عليه السلام والتفقه فى الدين أرجع كافراً :

يا شاهد الله علىَّ فاشهد   أنى على دين النبى أحمد
من شك فى الله فإنى مهتدى

(ز) جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ١٢٣) :
« ... ومن قول على كرّم الله وجهه بصفين :

أمن راية سوداء يخفق ظلها   إذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردّها   حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه   ربيعة خيرا ما أعف وأكرما»

فهو غير قليلاً فى ألفاظ البيتين اللذين ذكرهما ابن رشيق ، وزاد بيتاً ثالثاً

* * *

هذه جملة أشعار وجدناها منسوبةً إلى على فى هذه المراجع العربية المعتمدة ، وهى بطبيعة الحال ليست كل ما فى هذه المراجع ، فإننا لو بحثنا فيها أكثر مما بحثنا ، لوجدنا جملة أخرى من الأشعار المنسوبة إلى على ؛ ولكننا نستطيع أن نقول واثقين : إن هذه الأشعار التي وجدناها هى معظم ما فى هذه المراجع من الشعر المنسوب إلى على ، وهى تكفينا على كل حال فى هذا البحث

٣ ـــ هذه الأشعار مما يمكن صدوره عن على وفى عصر على

هى مما يمكن أن يصدر عن على ، لأنها تشف عن شخصيته

(١) قال فى حسن الصحابة (جـ ١ ص ١١٨) : « قال ثعلب فى قوله أنا الذى سمتنى أمى حيدره لم يختلف الرواة أن هذا الرجز له ، وأيضا قد اشتهر فى كتب المغازى والسير أنه له » وقال (ص ١١٩) : « وقد نقل العلماء عن المازنى أنه استقبح ضمير المتكلم بعد الموصول فى أنا الذى سمتنى أمى حيدره وقال لولا اشتهار وروده لرددته فهو نفسه معترف بأنه اشتهر أنه لعلى رضى الله عنه ولذلك كف عن رده »

وتصور ما ألم به من الأحداث . فأنت إذا قرأت البيتين المذكورين له فى عيون الأخبار طالعتك صورة الحكيم المجرب الذى يرى أن صداقة الصديق لا تكون إلا إذا حزن لحزنك وبكى لبكائك ووجم لوجومك ومن ينكر أن علياً كان حكيما مجرباً ؟ وكذلك إذا قرأت البيت المذكور له فى ديوان الحماسة طالعتك صورة العاقل الذى يرى ألا فرار من الموت فى أية حال من الأحوال ، ومن ينكر أن علياً كان عاقلاً ؟

وأنت إذا قرأت الرجز المذكور له فى مقاتل الطالبيين ، والأبيات الستة المذكورة له فى ديوان الحماسة ، طالعتك صورة الشجاع المغوار الذى يعمل جاهداً فى نشر الإسلام بالسيف بعد أن لم تُجدِ الحجة ؛ ومن ينكر أن علياً كان شجاعاً مغواراً ؟

وإذا قرأت الأبيات الخمسة المذكورة له فى معجم الأدباء ، طالعتك صورة صاحب الحق يدلّل على ما له من حق ، وكذلك كان على طيلة حياته ، فقد كان يشعر بعقر هذا ويألم لإغضاء أبى بكر وعمر وعثمان عنه ثم لتنكر معاوية آخر الأمر له .

فهذه الأبيات كلها تشف عن شخصيته ، وتصور نوازعه وخوالجه وروحه . ثم إنك إذا قرأت سائر الأبيات وجدت فيها صوراً من الأحداث التى ألمت به ؛ فالبيتان المشهوران المذكوران له فى معجم الأدباء يصوران رغبة قريش فى قتاله وقتله ، تلك الرغبة التى ظهرت فى سير طلحة والزبير وعائشة إليه ووقوع وقعة الجمل بعد ذلك . والرجز المذكور فى الكامل على قِصَره يعطينا صورة عن خروج الخوارج عليه واعتقادهم كفره ثم استتابتهم إياه . والأبيات التى قالها فى صفين تصور هذه الوقعة أجمل تصوير وأقواه

فأنت ترى إذن أن هذه الأبيات التى وجدناها له مما يمكن صدوره منه لأنها تصور شخصيته وحوادث عصره

ثم هى أيضاً مما يمكن صدوره فى عصره ، ونقصد بذلك أنها تتسم بالطابع الذى يطبع آداب هذا العصر وهو طابع القوة والصدق . فنحن نعرف أن هذا العصر عصر عربى خالص لم تشبه بعدُ شوائب العجمة ، فهو إلى البداوة أقرب منه إلى الحضارة . ونحن نعرف أيضاً أن الروح العربية الخالصة روح قوية صادقة لم يُغَشِّها شىء ولم يلبسْها شىء . ولذلك وجدنا آداب هذا العصر العربى الخالص متسمة بهذه الروح العربية الخالصة بما فيها من قوة وصدق . وليست هذه الأشعار التى نقرأها لعلى ببعيدة عن هذا الطابع الذى يطبع آداب هذا العصر الذى عاش فيه على . ويمكن لكل ذى ذوق أن يحس ذلك إحساساً واضحاً

هذه هى الخطوات الثلاث التى خطوناها فأدت بنا إلى الرأى الذى قدمناه فى أول هذا القسم من البحث وهو أن علياً كان من الشعراء . وليست الخطوة الواحدة من هذه الخطوات بقادرة وحدها على أن تؤدى بنا إلى هذا الرأى ، وإنما هى تؤدى بنا إليه إذا تعاونت مع أختيها وانضمت إليهما

ونحن نحب بعد أن أثبتنا رأينا هذا أن نعود إليه فنقويه بأقوال بعض المؤيدين لنا من المتقدمين :

١ — يقول السيوطى (تاريخ الخلفاء ص ٧٠ ط الميمنية) : « وأخرج عن الشعبى قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة »

هكذا يقول الشعبى وهو ثقة، ثم هو أيضاً من المتقدمين فقد كان معاصراً للحجاج وعبد الملك ابن مروان

٢ — يقول ابن عبد ربه (ج ٢ ص ١٢٣) : «وقال سعيد ابن المسيب كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعلي أشعر الثلاثة »

فسعيد بن المسيب يقول قول الشعبى ، وهو ثقة فقد كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ثم هو متقدم فقد كان معاصراً لعبد الملك وتوفى بالمدينة سنة ٩٨ هـ

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأســتاذ سيد قطب

١ — « عبقرية محمد » للعقاد

العقاد رجل متعب بالقياس إلى النقاد وبخاصة فى كتاب « عبقرية محمد » ، فالناقد لا يحس بلذة عمله إلا حين يجد مجالاً لمشاركة المؤلف فى عملية الإنشاء والخلق . حين يجد مجالاً لمناقشة الفكرة ، والزيادة عليها فى بعض الأحيان ، أو التعرض لها من زاوية غير التى تعرض لها المؤلف ... وبالإجمال حين يجد له عملاً آخر بجانب المؤلف غير مجرد الاستعراض

والعقاد — وبخاصة فى كتابه الأخير — يحرم الناقد هذه اللذة ، ويكاد يقعده عن الكتابة ... وما جدوى أن يكتب الناقد ليقول : « هـذا جيد ... وهذا جيد كذلك ... وهذا كذلك جيد أيضاً ! » حتى ينتهى من صفحات الكتاب وفصوله ، وهو يكرر جملة واحدة أو ما فى معناها ؟ إنهـا إذن تحية وليست نقداً كما يشاء النقاد !

الرجل موهوب — هذا ما لا شك فيه — ثم هو لا يقنع بهذه الهبة الضخمة — كما يقنع مع الأسف كثير من شبابنا المتطلعين إلى الشهرة فى هذه الأيام لمجرد إحساسهم بنوع من الهبة الطبيعية - إنما هو كذلك قارىء عظيم ، وقارىء يعرف كيف يقرأ وكيف يفيد من هذه القراءة ؛ قارىء يحس أن القراءة وظيفة له فى هذه الحياة ، لا يجوز أن تعوقه عنها وظيفة أخرى ، حتى وظائف كسب العيش ، ووظائف الخدمة العامة

ومن الموهبة الضخمة والقراءة الكثيرة ، كان هـذا الذى يلاقيه الناقد من العنت والتعب حين يتعرض لأدب العقاد ولنثره خاصة ، فشعره لإجماله ولأنه تعبير عن النفس الإنسانية ، فيه مجال للشرح والتحليل واستخلاص ملامح النفس من خلاله ، وفى هذا كله إرضاء لشعور الناقد ، وإشعار له بأنه يعمل شيئاً بجوار الشاعر !

جالت فى نفسى هذه الخواطر وأنا أقرأ كتاب « عبقرية محمد » للمرة الثالثة ، عسى أن أجد ما أقوله غير « هذا جيد ، وذاك جيد ؛ وذلك كذلك جيد ... » ثم عدت لأرى أن الاستعراض أسلم طريق .

* * *

ما موضع هذا الكتاب فى مكتبة « محمد » وما وظيفته التى يؤديها ولا تؤديها المؤلفات الكثيرة والأخبار المروية ، عنه عليه السلام ؟

موضع هذا الكتاب أنه خلاصة لهذه المكتبة ولكنها خلاصة « مكيَّفة » تكاد أن تكون شيئاً آخر غير ما استخلصت منه « خلاصة ماهر » والعقاد يقول فى أحد أبياته :

ليست خلاصة كل شىء غنية عنه وإن كانت خلاصة ماهر

ولكنها فى هذه المرة خلاصة تغنى من يريد أن يعرف من هو محمد على وجه التحقيق ، لأن فيها من التعليقات والتوضيحات والتحليلات ما يجعلها غنية وافية كل الوفاء ، وليس بالقليل أن تستعيض من مكتبته كتاباً

ووظيفته التى يؤديها وينفرد فى أدائها ، أن كل من عرف « محمداً » من قبل فى جميع الروايات والسير والأسانيد والشروح وكل من لم يعرفه كذلك ، كلاهما فى حاجة أن يعرف « محمداً » مرة أخرى فى هذا الكتاب ! وأن يرى صورته فى هذه المرآة الوضيئة ، وإنه لواجد حتماً فى الصورة عامة ، وفى كثير من جزئياتها جديداً لم يره من قبل فى أية مرآة ... وسينظر ويتأمل ثم يقول المرة بعد المرة : ويْ ... إن هـذا القسم من الصورة لم يكن هكذا فى ضميرى ؛ أو يقول : نعم ... كنت أعرف ذلك ولـكن ليس على هذا النحو الذى أراه الآن ! !

ومع هذا وذلك ، فليس فى « عبقرية محمد » خبر غير مروى من قبل ، ولا حادثة لم تكن كذلك معروفة ، ولا جزئية واحدة لم يتعرض لها الرواة والمحدثون ؛ وهذا ما يجعل البعض يقول لأول وهلة : كل ما فى الكتاب معروف ! وما قد يجعلهم

يحسون بالسهولة واليسر فى الجهد الذى بذله المؤلف !

والحقيقة أن هذا شعور خدّاع ، وأن عبقرية العقاد ونضوجه فى هذه الأيام هما اللذان يهيئان ذلك ؛ وإنها لعبقرية - لا شك - ونضوج أن تصنع من المادة الميسرة للجميع شيئاً لم يتيسر من قبل للجميع !

وإن العقاد لمحق حين يرى فى مقدمة الكتاب أن الثلاثين عاماً التى مضت بين مولد هذه الفكرة فى نفسه وبين تنفيذها ، كانت لازمة لفسح نفسه ، حتى تستطيع أن تستوعب انفساح « عبقرية محمد » ... وإن فى الكتاب للفتات نفسية وفكرية لا تتيسر لكل إنسان ، ولعلها لم تكن تتيسر للعقاد نفسه قبل هذا الزمان ... وإنه ليقول :

« أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين ؟

« إنها مسافات فى عالم الفكر والروح ، لو تمثلت مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار »

والذين يعرفون طبيعة العقاد وانفساحها وتوفزها والتهامها لكل جديد ، وتجددها حيناً بعد حين ، وازدحامها بالخواطر عدد الثوانى واللحظات ، هم الذين يعرفون حقيقة هذه المسافات فى عالم الفكر والروح ، ويعرفون أنه يعنى ما يقول حين يقول : « لو تمثلت مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار » !

***

قلت فى التمهيد لهذه الكلمات : إن العقاد دارس شخصيات وإن كل إنسان يدرسه العقاد تستطيع أن تعرف « من هو » وإن لم يستوعب كل صفاته وكل ما وقع له فى حياته ؛ وهذا ما تجده فى « عبقرية محمد » فى نضج واستواء ؛ وإنه ليبدأ بعد المقدمة مباشرة فى ص ١٦ فيرسم بخطوط سريعة التصميم الأولى للصورة تحت عنوانات : « عالَم . أمة . قبيلة بيت . أب . رجل » ... فتحس بعمل الريشة الماهرة المتيقظة لما تريد ، العليمة بقواعد التصميم والتلوين ؛ فإذا انتهى إلى ص ٢٦ أحسست أن التصميم كله قد تهيأ على اللوحة ، وأن صورة محمد وعصره ووظيفته فى هذا العصر قد برزت من خلال هذه الخطوط السريعة ، فلم يبق للريشة المدربة إلا التلوين ، وملء الفجوات ، وتوضيح القسمات ، وذلك هو بقية فصول الكتاب !

وسنحاول أن نعرض هنا بعض لمسات هذه الريشة المدربة فى تخطيط التصميم الأولى السريع :

يقول فى ص ٢٦ و ٢٧ : « عالم يتطلع إلى نبى ، وأمة تتطلع إلى نبى ، ومدينة تتطلع إلى نبى ، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب ذلك النبى .... ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر فى صفاته ومقوماته ، ولا يدانيه رجل آخر فى مناقبه الفضلى التى هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة : فى المدينة ، وفى الجزيرة ، وفى العالم بأسره

« نبيل عريق النسب ، وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره فى أمة الأنساب والأحساب

« فقير وليس بالغنى المترف ، فيطغيه بأس النبلاء الأغنياء ، ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار

« يتيم بين رحماء ، فليس هو بالمدلل الذى يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذى تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين

« خبير بكل ما يختبره العربى من ضروب العيش فى البادية والحاضرة : تربى فى الصحراء وألف المدينة ، ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف ، واقترب من السراة ولم يبتعد من الفقراء

« فهو خلاصة الكفاية العربية فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية ، وهو على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه ، فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجتها .

« أصلح رجل من أصلح بيت فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التى ترقبها

« ذلك محمد بن عبد الله عليه السلام ... »

وذلك جانب من التصميم الأولىّ للصورة البارعة التى تأخذ هذه الريشة المدربة بعد ذلك فى ملئها وتلوينها بما هو أبرع من

هذه البراعة ، وبما يتفق للألوان المنتقاة وللريشة الدقيقة فى اليد البصيرة من الإبداع

وليس من المستطاع بطبيعة الحال أن أنقل هنا أكثر من هذه الفقرات ، فهنالك أشياء أخرى لا بد أن تقال

* * *

قلت : إن كل الحوادث والأسانيد والروايات التى وردت فى « عبقرية محمد » مروية معروفة وليس فيها من جديد . إنما الجديد هو عرضها واستخدامها واستخلاص النتائج منها . وهو اختيار الحادثة المناسبة فى موضعها المناسب . ومن هذا كله تبدو الحوادث والروايات والنصوص فى مواضعها وكأنها جديدة هناك ، يطالعها القارئ لأول مرة ، ويخطر له من معانيها فى مواضعها هذه ما لم يخطر له قط وهو يراها من قبل مرة ومرة .

فسرية عبد الله بن جحش وأخبارها معروفة مكرورة ولكنها هناك تدل على « عبقرية محمد العسكرية » كأحسن ما تكون الدلالة بغير تعسف ولا عنت . وعهد الحديبية وأخباره معروفة كذلك مكرورة ، ولكنها هناك تبرز بوضوح ويسر « عبقرية محمد السياسية » كأوضح ما تكون العبقرية السياسية بأى ميزان وزنتها به فى جميع الأزمان . وقصة الإفك مذكورة فى كل كتب السيرة والتفسير مشهورة عند المسلمين وغير المسلمين ولكنها هناك تصور « سماحة محمد » وتلمس النفس الإنسانية فتدرك حقيقة هذه السماحة ومداها الرفيع . وقصة المتاع وأزواج النبى التى ترويها الآية : « يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ... الخ » متداولة فى السيرة والتفسير ولكنها هناك دليل نفسى وعقلى لا يرقى إليه الشك ، ولا يجادل فيه إلا المكابرون على كذب ما افتراه المفترون من استغراق لذات الحس لمحمد عليه السلام

وهكذا وهكذا من حسن الاختيار ووضوح العرض ، وبراعة التعليق ، وعبقرية التحليل ، ووضاحة التدليل .

(البقية فى العدد القادم)

سيد قطب

مطالعات فى الأدب الغربى

عقليـــــات الشعوب
في معادلات رياضية
للأستاذ على كمال

« لن يوتانج » أعظم الكتاب الصينيين المعاصرين ، وهو من أشهر مفكرى القرن العشرين وكتبه من أوسع الكتب الحديثة انتشاراً ، اكتسب شهرة واسعة لتوفقه فى فهم طبيعة العقل الغربى ومقارنته بأعرق العقليات الشرقية قدماً وهو العقل الصينى . وكتابه « أهمية الحياة » يعتبر أهم كتبه وقد أعيد طبعه فى أمريكا أكثر من عشر مرات فى نحو من سنتين . وفى هذا الكتاب فصول قيمة تنقل إلى القارئ منها خلاصة فصل طريف ضمنه دراسة لعقليات الشعوب حاول رسمها بمعادلات رياضية

« ... يظهر أن الجنس البشرى يقسم إلى طائفتين : الواحدة مثالية والأخرى واقعية . والمثالية والواقعية هما القوتان المعظيمتان اللتان تتجاذبان التقدم الإنسانى . فطَفَلُ الإنسانية قد صار ليناً مرناً بماء المثالية ... إن هاتين القوتين المثالية فى طرف والواقعية فى طرف آخر تتجاذبان فى جميع حقول النشاط الإنسانى ، والتقدم الحقيقى ممكن فقط بمزج هذين العنصرين بنسب موافقة حتى يظل الطين ليناً مرناً ، فلا يشتد طبعه فيصعب تدبيره ، ولا يلين قوامه فيصبح وحلاً . فالشعب الإنجليزى وهو أحكم الشعوب قد مزج الواقعية والمثالية بنسب موافقة فلم يترك المزيج قاسياً يصعب على الفنان تدبيره وتناوله ، ولم يتركه مرقاً فلا يقوى على حفظ شكله وقوامه

وبعض الأمم فى ثورات متتابعة ، ذلك لأنه قد حقن فى طينتهم الأصيلة بعض السائل من مثاليات الأمم الأجنبية التى لم تتمثل بعض فى طبيعتهم ، لهذا لم تقو طينتهم الأصيلة على حفظ شكلها

لقد فكرت فى معادلات يمكن بواسطتها أن نعبر عن التقدم الإنسانى وعن التغيرات التاريخية وهذه هى :

الحقيقة − الأحلام = كائن حيوانى

الحقيقة + الأحلام = صداع القلب (يسمى عادة : المثالية)

الحقيقة + روح النكتة = الواقعية

الأحلام − روح النكتة = التعصب

الأحلام + روح النكتة = الوهم

الحقيقة + الأحلام + روح النكتة = الحكمة

وعلى ذلك فالحكمة أو أرقى أنواع التفكير تتألف فى ربط أحلامنا بروح الفكاهة والنكتة ودعمها بالحقيقة نفسها

ولعل المعادلات التالية تفصل ما وصلت إليه من دراسة عقليات الشعوب ، والمجال واسع لمعارضتها ونقدها

إذا رمزنا للحقيقة أو الواقع بالحرف «حق» وللحلم بالحرف «ح» ولروح النكتة بالحرف « ن » وللعاطفة بالحرف « ع » ، ثم استعملنا الأعداد ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ لتدلل على نسبة حظ الشعوب من هذه العناصر خرجنا من ذلك بمعادلات يظهر منها أن الجنس البشرى فى أفراده وجماعاته يسلك سلوكاً متبايناً بالنسبة إلى حظه من هذه العناصر بنفس الطريقة التى تسلك فيها العناصر والمركبات الكيميائية فى تفاعلها . وما دمنا لا نستطيع أن نخلق اصطلاحات كالمستعملة فى علم الكيمياء مثلاً قلنا أن نعبر عن هذه المركبات بمقادير ذرية كأن تقول ٣ ذرات فى الحقيقة حق$_{٣}$ ، وذرتين فى الحلم ح$_{٢}$ وهكذا

حق$_{٣}$ ح$_{٢}$ ن$_{٢}$ ع$_{١}$ = الإنجليزى

حق$_{٢}$ ح$_{٣}$ ن$_{٣}$ ع$_{٣}$ = الفرنسى

حق$_{٣}$ ح$_{٣}$ ن$_{٢}$ ع$_{٢}$ = الأمريكى

حق$_{٣}$ ح$_{٤}$ ن$_{١}$ ع$_{٢}$ = الألمانى

حق$_{٢}$ ح$_{٤}$ ن$_{١}$ ع$_{١}$ = الروسى

حق$_{٢}$ ح$_{٣}$ ن$_{١}$ ع$_{١}$ = اليابانى

حق$_{٤}$ ح$_{١}$ ن$_{٣}$ ع$_{٣}$ = الصينى

ولست أعلم عن الإيطاليين والأسبانيين والهنود ما يمكننى من وضع مثل هذه المعادلات لهم ، وأنا واثق بأن هذا

القليل الذى وضعته سيكفى لفتح سيل عرم على رأسى من النقد

ولا بد من الملاحظة على هذه المعادلات ، فمنها يظهر أن الفرنسيين أقرب الناس إلى الصينيين من حيث روح النكتة والعاطفية ، كما يتضح ذلك فى كيفية كتابة الفرنسيين لكتبهم وأكلهم وطعامهم . ولكن طبيعة الفرنسيين المتبخرة ناتجة عن مثالية أوسع تأخذ شكل الحب للفكر المجرد

واليابانيون والألمان متشابهون جداً فى فقدانهم لروح النكتة والفكاهة ، وما دام من غير الممكن وضع صفر كدرجة لهم فى هذا العنصر من مركبهم العقلى فأنا أضع « ١ » وأعتقد بأننى محق فى ذلك . غير أننى أعتقد بأن اليابانيين والألمان قد قاسوا كثيراً فى حياتهم السياسية ويقاسون الآن بسبب إخفاقهم فى امتلاك روح نكتة وفكاهة ملائمة . وعند ما وضعت ح٣ . لليابانيين عنيت بذلك ولاءهم التعصبى لأمبراطورهم ولدولتهم الذى ما كان ممكناً لو أن فى عقليتهم بعض الشىء من روح النكتة

... إن هنالك تجاذباً طريفاً فى أمريكا بين المثالية والواقعية وكلتاهما متمثلتان بقوة كبيرة ، وهذا يفسر لنا النشاط والقوة التى يتصف بها الأمريكيون . إن الكثير من مثالية الأمريكيين نبيل بمعنى أن الأمريكيين يلبون بسهولة دعوة نبيلة محقة ، ولكن البعض من مثاليتهم يتصف بروح الأساطير

والإنجليز كما يظهر لى إجمالاً هم أحكم الشعوب ، فإن « حق٣ ح٢ » تنطق بالثبات والاتزان ، وهى أقرب المعادلات للمعادلة المثالية فى نظرى ، وهي (حق٣ ح٢ ن٢ ع٢) التى قصر الإنجليز عن بلوغها بدرجة واحدة فى العاطفة

***

من دراسة عقليات الشعوب نخرج بهذه النتيجة : فى الصين يعيش الرجل حياة أقرب إلى الطبيعة وأقرب إلى الطفولة ، حياة تمارس فيها الغرائز والعواطف بحرية تامة ، وتؤكد هذه الحياة بقوة ضد الفكر . وعلى هذا ففلسفتهم فى الحياة توصف بما يلى :

أولاً : رؤية الحياة تامة فى الفن ، ثانياً : رجوع واع للبساطة فى الفلسفة ، وثالثاً : « مثال » من التعقل فى الحياة . وخلاصة هذه الفلسفة جميعها هي عبادة الشاعر والفلاح والمتشرد »

على كمال

يا ســواقى . . .

[إلى التى ترعرع على غدرانها شبابى]

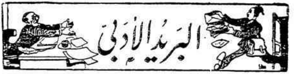
فرّقَ الدهرُ بيننا « يا سواقى » … ومضى بى لغُربتى واشتياقى
أينَ للقلب لحظةٌ من ليالِيـ … ـكِ وصفوُ الحياةِ فى إشراق
كان لى فى رحابكِ الخضْر دنيا … من نعيمٍ ومن أغانٍ رقاقِ
والمنى عذبةٌ كإشراقةِ الوصـ … ـلِ بروح المعذَّبِ المشتاقِ
والصبا جنَّةٌ على ضفةِ الخلـ … ـد ونورٌ يضئ فى آفاقى
ولقد كنتِ للشباب سُلافاً … ونديماً حلوَ الحديثِ وساقى
كنتِ لى كوثراً يطهّر نفسى … فنَمَتْ منه عفّةُ أخلاقى

يا « سواق الفيوم » طال غيابى … وفؤادى يذوب فى الأشواق
كنتِ دنيا من فتنةٍ وخيالٍ … وجمالٍ من الطبيعةِ راقِ
كنتِ سلوى لمهجةٍ قد تلظت … فى جحيم من جَفْوةٍ وشِقاق
كنتُ أبكى فتحبسين دموعى … بعزاء كم فيه من ترياق
كم حلالى فى نبعتيكِ اصطباحى … وصفا لى من راحتيكِ اغتباقى
كنتِ نِعمَ الصديقُ إن عبسَ الدهـ … ـرُ ونِعمَ المُجيرُ مما ألاقى
ذقتُ طعمَ الوفاءِ من كوبكِ الحلـ … ـوِ بريئاً من خدعةٍ أو نفاق
عاش فكرى مع الحياةِ أسيراً … كبّلتْهُ بشرّها الدفّاق
ورأى عندكِ البشاشةَ والصفـ … ـوَ ففنّى فى فرحةٍ وانطلاق
حال بينى و بينك اليوم عيشٌ … لم ينَلْنِى منه سوى الإرهاق
أينَ موجٌ من « بحرِ يوسفَ » يسرى … والأغانى تسيلُ من أبواق ؟
ورياضُ « الفيوم » رنَّحها الحسـ … ـنُ فلاحتْ كجنةِ العُشّاقِ ؟
وغرامى الذى نما عند شطَّيـ … ـكِ وباركتِه بماء مُراق ؟
وحبيبى الذى تلهّى به العيـ … ـشُ وما فيه من كؤوس دِهاق ؟
خَدَعتْ روحَه الزخارفُ فى الأر … ضِ فأعشَى من سحرها البرّاق
كم بعثتُ الرجاء شعراً فعادت … همساتى بالعجزِ والإخفاقِ !
نسىَ الحبَّ والسّواقى وصبًّا … لم يزل سائراً على العهد باق

« يا سواقى » ذكراكِ تغشى كيانى … فاحفظينى فى روحِكِ الخفّاق
وخذينى من قبضةِ الفكر يوماً … إنّ عودى بناره فى احتراق
صنتُ فى مهجتى هواكِ فصونى … عهدَ طفلٍ ربيّتِه « يا سواقى » !

« سلاح خدمة الجيش الملكى »

أحمد إسماعيل المليجى



الصفاء بين الأدباء

صديقى « الحكيم »

لو لم يكن النسيان عرَضاً ملازماً لك يا صاحب (أهل الكهف) لذكرتَ أن اسمى (الزيات) لا زكي مبارك ؛ وأنك لسانٌ لحرية الفكر ، لا عَينٌ فى رقابة النشر ؛ وأنك رسول الله إلى الأدباء ، لا سفيرُ الشيطان بين الأصدقاء . ولو أنك ذكرتَ واحدة من أولئك لما كان منك ذلك الكتاب ، ولا كان منى هذا الجواب

تستطيع أن تقول إنك حين كتبت ذكرتنى وأردتنى ، لأن الناشر شريك الكاتب ؛ وتستطيع كذلك أن تقول إنك تقدس حرية الفكر لو كان ما نُشر عنك فى الرسالة قد انتفع به الفكر ؛ ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنك كفرت بنفسك وكذبت برسالتك ؛ لأن الرسول الصادق لا ينذر بالكدر وهو يبشر بالصفو ، ولا يبادر إلى القطيعة وهو يدعو إلى الصلة ، ولا ينفض يده من الدعوة لأنه سمع بعض الإنكار ولقى بعض العَنت !

لم يكفر برسالتك إلى الأدباء غير (العقاد) ، ولا شك فى إخلاصك للأدب غير (المبارك) ، فما بالك يا توفيق تُمن قبل التعذيب ، وتُلقى بيديك ورجليك إلى الصليب ، وتفضح بهذا الجزع نبوة الأديب ، وتقطع آياتك وبركاتك عن المؤمنين والكافرين على السواء ؟!

تقول « إننى حدت قليلاً عن رسالتى فى (الرسالة) » ؛ (وقليلاً) هنا معناها زكي مبارك . وزكى مبارك يا توفيق لون من ألوان الأدب المعاصر لا بد منه ولا حيلة فيه . هو اللاكم الأدبى فى ثقافتنا الحديثة . والرياضة كما تعلم ضرورة من ضرورات الحياة لسلامة الجسم والعقل . أما عنفه وشماسه فهما الصبغ المميز للونه . فلو شئت أن تجرد هذا اللاكم المبارك من عنف الهجوم وخشونة المِراس لما بقى منه غير توفيق الحكيم وأسلوب الحكيم و « حمار الحكيم »

على أنه هو نفسه أول الشاهدين على أن صفارتى قد بُحّت من طول ما أهابت به وهو فى قفازه السنتريسى يهدر فى المجال بين الحبال مغضياً بعض الإغضاء عن قواعد اللاكمة

وزكي مبارك بعد ذلك سليم الصدر ، صريح القلب ، رياضى الروح ، لا يتحرج أن يطلب إلى (صديقه) فى مقال هذا العدد أن ينصره ظالما أو مظلوماً فى حدود تفسيره الخاص !

ثم تقول : « إن الأدباء فى مصر ــ مع الأسف ــ لا يحسبون حساباً لغير الكاتب الذى يبرز مخالبه ، ويكشر عن أنيابه ، ويتهيأ دائماً للوثوب » ؛ فهل مصداق ذلك يا توفيق أنك أدرتَ ظهرك لخصمك وحملت علىّ ؟ ولكننى يا صديق أهشّ لإقبالك علىّ ولو بالهجوم . إن كشّرتك فى نظرى بسمة ؛ وإن زأرتك فى سمعى نغمة ؛ وإن عقدتك مني أيسر حلاً من الأنشوطة !

أما قطعك الأسباب بينك وبين الرسالة والأدباء ، فأمره يهون ما دمت تخرج كتبك إلى قرائك الأوفياء

وإذا جاز لى أن أوجهك مرة أخرى فإنى أنصح لك يا توفيق أن تؤمن برسالتك كما آمن ذوو الفضل من الكتّاب ، وأن تصبر على أذاها كما صبر أولو العزم من الرسل .

والسلام عليك من صديقك المخلص .

احمد حسن الزيات

أحزان توفيق الحكيم

لم يبق ريب فى أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم حزين ، وإلا فكيف جاز له أن يقول إنه لن يكتب فى « الرسالة » بعد اليوم ، مع أنّ الرسالة صديق لجميع أرباب الأقلام ، ولا يرضيها أن ينقطع ما بينها وبين أصدقائها القدماء من صلات ؟

الرسالة لا تترك أصدقاءها أبداً ، ولن يتركوها ، لأن الصلة بين الرسالة وأصدقائها صلة روحية لاتقطعها ثورة لحظة أو لحظتين بعد قراءة كلمة نابية أو قاسية . والأدب كالحياة فيه كدر وصفاء . وسيشتاق الأستاذ الحكيم إلى « الرسالة » كما يشتاق الأليف إلى الأليف

ولكن ما الذى أغضبَ هذا الصديق حتى استباح ذلك الوعيد ؟

كنت أنتظر أن يتلطف فيشكرنى ، بعد قراءة الكلمة التى وجهتها إليه ، لأنى أردت بها إعزاز الذاتية الأدبية ، فما يرضينى

ولا يرضيه أن تكون فى الدنيا منزلة أشرف من منزلة رجال البيان ، وإن قضت المقادير بأن يظل القلم مضطهداً فى جميع العهود

والأستاذ توفيق الحكيم هو الذى أعلن الندم على الانتظام فى سلك الحياة الأدبية ، وكان فى مقدوره أن ينخرط فى سلك الحياة القضائية ، فهل يغضبه أن نعترض عليه فنقول : إن رجال الأدب يؤدون لأوطانهم خدمات تفوق ما يؤديه رجال القضاء ، وإن القاضى لا يستطيع القول بأنه أعظم من الأديب ؟

إن الأدب جعل من توفيق الحكيم شخصية يتكلم عنها الزيات والمازنى والعقاد ، فهل كان يظفر بمثل هذا الحظ لو أصبح من رجال القضاء ؟

وقد رعبتُ عليه أن يبدى ويعيد فى الكلام عن نفوذ طه حسين ، وكانت حجتى أن الأديب يقتل نفسه بيديه حين يفرح بالمناصب الرسمية ، لأن المنصب الحق للأديب هو الفناء فى خدمة المعانى الروحية والعقلية . فماذا يملك الدكتور طه لنفسه حتى نرجوه أو نخشاه ، إلا أن نكون فى إيمان الرجل الذى وضع فى سيرة الرسول « رواية تمثيلية » ، وهو رجل يعرفه هذا الصديق الغضبان ؟ !

وعِبتُ على الأستاذ توفيق الحكيم أن يعلن أن العائلات صدفت عن عرض بناتها عليه بعد أن صار من الأدباء ، فهل سمع الناس فى الشرق أو فى الغرب أن الأديب الفحل يعجزه أن يقترن بمن يشاء من كرائم الملاح ؟

على رسْلك ، أيها الأديب الحزين ، فنحن أول طبقة تثق بها الأمة المصرية ، وسنظل برعاية الله وسلطان الأدب فى أعظم مكان .

زكى مبارك

لوبيا والبلاد العربية

فكرة صائبة ورأى سديد هذا الذى انتهى بتفكير الأستاذ الزيات بإصدار أعداد خاصة من مجلة الرسالة الغراء بالأقطار العربية تنويهاً بفضلها وتعريفاً بأهلها . وليست هذه الفكرة بجديدة على أستاذنا الكبير فقد سبق أن تنبهت إليها الرسالة فى سنتها السابعة ولكن شاءت الظروف أن يهمل تنفيذها إلى أن بعثت من جديد ؛ وقد وجدت ترحيباً من قراء العربية . وإنا ندعو الله أن يوفق الرسالة فى خدمة البلاد العربية بإصدارها لهذه الأعداد .

على أن الذى لفت نظرنا نحن معشر اللوبيين بهذه المناسبة هو ما كتبه الأستاذ الدكتور زكى مبارك سواء فى ذلك عدد الرسالة ٣١٥ أو ٤٦٣ فقد قال فى العدد الأول مخاطباً الأستاذ الزيات : « ما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة فى البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ... » ، وقال فى العدد الآخر مشجعاً الأستاذ الزيات على تنفيذ فكرته هذه « الخطب أسهل مما نتوهم ولكن ... ولكن على شرط أن يهاجر الزيات من المنصورة إلى القاهرة ليستوحى من فيها من العارفين بخصائص الحياة الأدبية والاجتماعية فى تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز وسورية وفلسطين ... »

فالأستاذ الدكتور قد ذكر بلاد أفريقية الشمالية قطراً قطراً وتناسى جيرانه الليبيين وبلادهم فأخرجهم بذلك من زمرة البلاد العربية ، واستكثر عليهم أن تعنى مجلة الرسالة ببعض أخبارهم وسواء قصد هذا الأستاذ الدكتور أم لم يقصد فإنا لا نستطيع تفسير إغفاله لبلادنا فى هاتين العبارتين اللتين كتبتا فى وقتين متباعدين إلا بهذا المعنى .

ومما يؤسف له أن كثيراً من قادة الرأى والفكر فى البلاد العربية عامة ، وفى مصر خاصة ، قد شاركوا الأستاذ الدكتور فى فكرته هذه[1] فكثيراً ما كتبوا عن الحلف العربى والوحدة العربية ، وتجاهلوا لوبيا قصداً أو عفواً مما كان له أثره السيء فى نفوسنا

هذه كلمة صغيرة أردت بها دفع مظلمة عن وطني العزيز، طالما جرحت نفوسنا، خصوصاً وأنها قد بدرت من رجال لهم فى قلوبنا كل احترام وتبجيل، وموعدنا إن شاء الله العدد الخاص فسيكون خير حكم على عربية لوبيا وأهلها .

مصطفى بعيو الطرابلسى

كلية الآداب — القاهرة

(١) مجلة الرسالة حافلة بمقالات كثيرة فى هذا الموضوع فليرجع القارئ إلى السنة السابعة أو الثامنة مثلا .

ألف مصطلح طبي يقررها المجمع اللغوى

أعلن المجمع اللغوى انفضاض دورته هذا العام ، وقد بلغت جلساته التي عقدها خلال هـذه الدورة ست عشرة جلسة ، أما اللجان الفرعية التي تمهد عمل المجلس فقد بلغت عدتها خمسين جلسة أو أكثر . والمصطلحات التي عنى المجلس بدرسها فى هذا العام هى مصطلحات الطب فى علم الرمد والباثولوجيا وغيرهما .

ويبلغ عدد المصطلحات التى أقرها نحو ألف مصطلح ، وستوضع لها تعريفات علمية لغوية تشرح معناها وتبين الصلة بين وضعها اللغوى ومدلولها العلمى

والمنتظر أن يتخذ المجمع ما يرى من الوسائل لنشر هذه المصطلحات في أنحاء البلاد العربية لاستخدامها فى محيط الطب العربى .

١ — السناد فى الشعر

أخطأ الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى صوغ قوافى قصيدته (نشيد الأغلال) المنشورة بالعدد ٤٦٦ من « الرسالة » ؛ فهو قد أردف فى بعضها بحرف الياء كقوله : سريرتى ، البعيدة ، الجبلة ، جديدة . الخ ، وأسس فى بعضها الآخر ، بجلبه ألف التأسيس فى مثل قوله : حشاشتى ، الثمالة ، تهادت ، الرسالة الخ ... فى حين اكتفى بحرف الروىّ « وهو التاء » فى سائر أبياتها مثل : وجهة ، رجمة ، وسجدتى ، فلّت ...

ومثل هذا الخلط بين أحرف القافية يسمى (سناداً) ؛ وهو من أبرز عيوب الشعر ، فما كنا نحب للأستاذ أن يقع فيه ...

٢ — أبيات لولى الدين

كنت رددت على أديب فاضل أورد فى الرسالة شعراً لولى الدين يكن وقال إنه لم يسبق نشره ؛ فبينت أن هـذا الشعر مطبوع بديوان الشاعر الذى صدر عام ١٩٢٤م . ولكني عثرت — من جهتى — على ثلاثة أبيات لم ترد فى هذا الديوان حقاً ؛ فأحببت إثباتها لتلافى ذلك إن أمكن فى الطبعات التالية . والأبيات واردة فى العدد الصادر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٠٩ م من « مجلة سركيس » الأدبية ، التى كان يصدرها المرحوم سليم سركيس . وها هى بنصها مع عنوانها :

لولى الدين بك يكن تحية للأحرار مرتجلاً :

سـلامٌ على أبطال قوم تجمّعوا
وروائدهم حقٌ وناطقهم نُخَرُ
أقاموا على ضَيْمٍ ثلاثين حِجَّةً
ولـكن سيحييهم — برغم العدا — النصر
يقولون : هذا الدَّهرُ رَبٌّ تقلُّب
نعم صدقوا ، قد قُلِّب التاج والعرُ !

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)